المحاضرة التاسعة: الشعرية والأسلوبية.

مدخل:

إن الشعرية تعنى بالكشف عن القوانين الجمالية التي تسمح بالقبض على وحدة النصوص الإبداعية وتنوعها في الوقت نفسه من خلال تحديد قواسم مشتركة بين تلك القوانين. وتتوخى التأويل الصحيح للآثار الأدبية كعلم للأدب، مع أنها تملك طموحا علميا يتناول الواقعة الأدبية، ولأن القوانين التي تميزه. إنما تتأسس على النصوص الأدبية بوصفها عينات فردية، "ولا تهتم بالوقائع المنجزة ولكن بالبنى المجردة للأدب"[i].

1- موضوع الشعرية عند تودوروف:

وقد حدد تودروف موضوع الشعرية في إطار التحول الذي طال موضوع النظرية الأدبية، فحصره في الخطاب الأدبي، أي مجموع البنيات اللفظية التي تعمل في كل عمل أدبي.. وقال بأنها تسعى إلى تسمية المعنى، بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل.. وتبحث عن هذه القوانين داخل الأدب ذاته، فالشعرية إذن مقاربة للأدب مجردة وباطنية في الآن نفسه.. مؤكدا على أن موضوعها ليس مجموع الوقائع الاختبارية (الأعمال الأدبية) بل بنية مجردة هي الأدب.[ii]

معنى هذا أن موضوع الشعرية ليس الأعمال المحققة، وإنما الأعمال المجردة. فالشعرية بهذه التحديدات لا تقف عند ما هو منجز وظاهر في البناء اللغوي للنص الأدبي، وإنما تتجاوزه إلى سبر ما هو خفي وضمني." [iii] "وكل نظرية أدبية تسعى إلى دراسة النص الفني دراسة داخلية، بعيدا عن المؤثرات الخارجية للنص، وفق تصور منهج واضح ومفاهيم إجرائية محددة ومضبوطة."[iv]

2- موضوع الأسلوبية:

الأسلوبية فهي درس، موضوعه دراسة الأساليب، وميزات التعابير اللغوية. فهي الشبيه القريب من البلاغة، ميزتها الأساسية دراسة التعابير الفنية وتأويلها، ولكن ليس كدراسة البلاغة لها، إذ أن هذه تسحب ما توصلت له من قوانين على بقية النصوص المشابهة خاصة؛ فيما الأسلوبية تربط ما اكتشفته بالتجربة النصية وتعتبره قانونا داخليا، باعتماد الانزياح أنا والخرق أنا أخرى. وقد اعتبرها البعض مجرد حقل غير محدد الموضوع تتوزع مباحثها مجالات معرفية متنوعة، يقول سعيد علوش:" وتعتبر الأسلوبية، التي لم تتوصل إلى توضيح واضح لموضوعها درسا مشلولا، حيث يتوزع حقل الدراسة بين اللسانيات التعبيرية/ البلاغة/ السيميائيات السردية/ الدلالة"[٧]، إنها باستفادتها من هاته المجالات تسعى إلى أن تكون نظرية تأويلية بالدرجة الأولى، وهي وإن قدمت لها العديد من الانتقادات الأخرى وخاصة بعض تياراتها التي اعتمدت الانزياح والخرق كإجراءين لانطلاق تأويلاتها، من قبيل الحدود بين المعيار والأسلوب، كون الأول يحيل على قانون كل جمع استهلكت أنظمة فدارت إلى اللغة العادية، وكون الثاني يتميز بالفرادة والغرابة. ثم تعاليها وعدم صلاحية أدواتها للتطبيق على النصوص التي لا تستجيب لظواهر الخرق والانزياح المختلفة، ما يجعلها انتقائية وقاصرة عن أن تكون نظرية عامة في تحليل الخطاب. إن الأسلوبية قد نشأت بفعل تحويل الدراسات اللسانية من اللغة إلى الكلام؛ فإذا كان سوسير قد قصر درسه اللساني على اللغة باعتبارها مؤسسة اجتماعية وأنظمة قابلة للوصف الآني، فقد أدرك خطورة تحويل الدراسة إلى الأدب باعتباره لغة في سياق تكلمي أدائي يتلون بحيثيات مختلفة؛ لكن بمجيء تلامذته المباشرين وغير المباشرين من قبيل شارل بال وليوسبيتزر نقلوا الدرس اللساني إلى الكلام/ الخطاب الأدبي فبرزت اتجاهات مختلفة ي الأسلوبية من تعبيرية ولسانية وهي ثمرة العلاقة الديناميكية بين اللسانيات والآدب، لأن منطلق الأديب واللساني هو اللغة، وعلاقة اللغة بالأدب خلقت مستويات أسلوبية يمكن للأديب الاختيار منها ما يناسب توجهه للتغلب على محدودية اللغة، وللأدب لغة تختلف عن لغة

الاستعمال اليومي، لغة الآدب مختارة ومعدلة، ومن مهمات الأسلوبيات كشف السمات الأسلوبية للأدب، ثم رصدها لمعرفة كمية التأثير والتأثر ونوعيته عند المتلقي.

الحواشي:

---

[i] –7t.todorov, ducrot: dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, paris edition; seuit, p 27

[ii] – تيزفطان تودروف، الشعرية، تر: شثري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، ط 2، 1990م، ص16–27.

[iii] – الغدامي عبد الله، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، كتاب النادي الادبي الثقافي ، السعودية، ط 1، ص20.

[iv] – محمد القاسمي، الشعرية والنقد الأدبي، مجلة فكر ونقد، عدد 22، 1999م، ص3.

[v] – سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1916م ، ص114.